

## المثقف والسياسي: السبب والنتيجة

### Intellectual and Politician

د. محمد التكريتي

هناك فرق واحد بين المثقف والسياسي: المثقف يصنع السياسي، ولا يستطيع السياسي أن يصنع المثقف. دور السياسي محدود، يؤثر في الحاضر فقط. ودور المثقف ليس له حدود يمتد في الحاضر والمستقبل. السياسي يمضي وينتهي دوره، والمثقف لن ينتهي دوره، شاء ذلك أم أبى. هل من العدل أن يلوم المثقفون السياسيين؟ المثقف هو الأب والأم، والسياسي هو ابنهما. هو نتاجهما. فإذا عاق الابن فلا يلوم الوالدان إلا نفسيهما. من هو المسئول عن التداعي الأخلاقي والغثيان الفكري؟ السياسي أم المثقف؟ من هو المسئول عن صياغة خارطة القيم للامة والشعب - قيم الوطنية، والدين، والحرية، والعدل، والوحدة...، ووضع كل واحدة في موضعها؟ ومن هو المسئول عن ترتيب سلم الانتماء - الانتماء للوطن، والقومية، والدين، والطائفة، والقبيلة...، وبيان المعنى الصحيح لكل انتماء؟ هل نريد من السياسي أن يضع لنا هذه الخارطة، ويبيّن لنا هذا السلم؟

إن تقييم دور الكاتب، أو الشاعر، أو الأديب ليس في قصيدة يكتبها، أو مقالة يدبجها، إنما هي في المحصلة النهائية لما يريد ويهدف إليه مما هو مستقر في أعماق نفسه ووجدانه. لا أحد يجهد ماذا يريد السياسيون، ولكن لا أحد يعلم ماذا يريد المثقفون. إن للشعر والأدب والفن رسالتين: الإيقاظ والتوجيه. الأولى هي إيقاظ المشاعر، وتأجيج العواطف. ومقياسها هو قدرتها على اختراق الروح كما يخترق الرصاص الجسد. والثانية هي إمداد الروح بأسباب النماء والارتقاء في إطار من روعة الحق وجمال الحقيقة. الرسالة الأولى فنية، والرسالة الثانية أخلاقية. إذا فقدت الأولى صار الأدب والفن غناء بارداً، وإذا فقدت الثانية صار سما زعافاً. وما لم يعي المثقف هاتين الرسالتين فلا يتوقع أن يجد من السياسي فيلسوفاً يقطر بالحكمة، ولا ملاكاً يمشي على الأرض.

إن واجب المثقف هو مساعدة الإنسان على تحقيق نضوجه الشعوري، لأن عمر الإنسان الشعوري هو دائماً أقل من عمره الزمني. فمشاعره تظل طفولية فجأة حتى تهذبها الثقافة. المثقف هو وحده الذي يستطيع، إن أراد، أن ينضج مشاعر الإنسان ويرتقي بها لتواكب نموه الجسدي والعقلي. هل فشل المثقفون لدينا في ذلك؟ الحقيقة ليس هناك نجاح أو فشل. هناك نتائج فقط. وإذا لم يعط المثقف فليس لأنه لا يريد، بل لأنه لا يملك. وإذا لم يستقم السياسي فليس لأنه لا يريد، بل لأنه لم يأخذ. إن السياسي هو عطاء المثقف. المثقف هو المعين الذي يغرف منه السياسي، وهو التربة التي ينبت فيها السياسي. وبقدر ما يكون صلاح التربة وعضوبة الماء بقدر ما يكون النبت ويكون الحصاد. إذا لم يصنع المثقفون الحياة فمن أين للسياسي أن يصنعها؟

لم يتمرد السياسيون على الثقافة، لأنه لا يمكن للإنسان أن يتمرد على ثقافته، لأن ذلك يعني نهاية الحياة. ومهما تكن مرارة الواقع وقسوته في عالمنا العربي، فإن ذلك حصاد الثقافة. وكل مثقف يعرف هذه الحقيقة. وقليل فقط يكابر فيها. ليست هناك فجوة بين المثقف والسياسي، ولا يمكن أن تكون هناك فجوة. ولكن هناك صناعة للحياة، أو تخريب لها، وفي الحالتين يقوم المثقفون بالتصميم ويقوم السياسيون بالتنفيذ.